الفصل التاسع

الاستعمار الفرنسى فى أفريقيا

المحتويات :

أولاً :.أمبراطورية فرنسا الثانية في العصر الحديث :

١.فرنسا في شمال أفريقيا :

أ.أطماع فرنسا في مصر.

ب.الجزائر وأسباب تفكير فرنسا في حملتها عليها.

.مراحل الحملة.

.مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري للاستعمار الفرنسي للجزائر.

جـ تونس.ظروفها في القرن التاسع عشر المشابهة لظروف مصر في عصر إسماعيل.احتلال فرنسا لتونس.

د.مراكش.التنافس الدولي عليها لموقعها.كيف وصلت فرنسا لاتفاق مع الدول الأخرى.

٢.فرنسا في أفريقيا الغربية والوسطى (الاستوائية).

أ.أفريقيا الغربية الفرنسية.

ب.أفريقيا الاستوائية الفرنسية.

٣.الكميرون وتوجو.

٤.فرنسا في سواحل أفريقيا الشرقية ومدغشقر.

٥.محاولات فرنسا لمد نفوذها إلى أعالي النيل.

ثانيا .سياسة فرنسا الاستعمارية في أفريقيا.

ثالثاً:نهاية الاستعمار الفرنسي في أفريقيا.

obeikandl.com

obeikandl.com

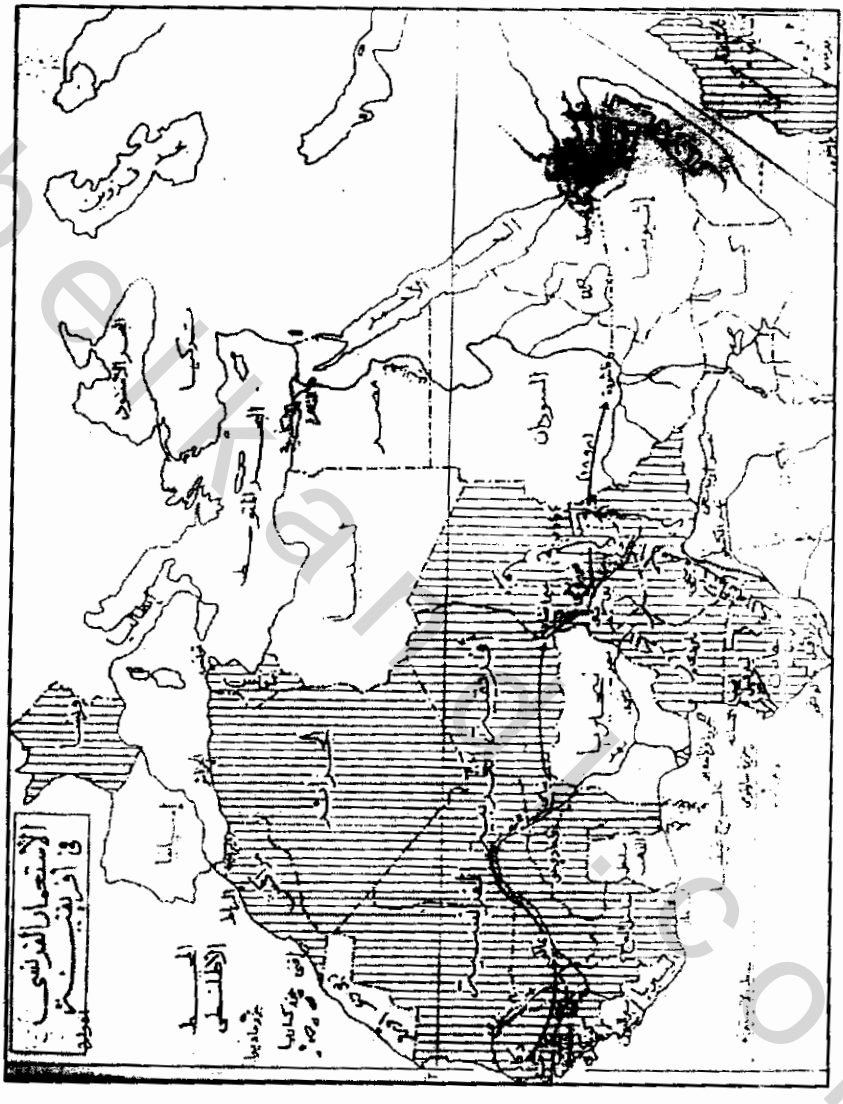

خريطة رقم (١٦) الاستعمار الفرنسى فى أفريقية

obeikan.com

استطاعت فرنسا في تاريخها الاستعماري في العصر الحديث أن تكون أمبراطوريتين :

الأولى: بدأت في القرن السابع عشر وتقوضت أركانها بعد هزيمة فرنسا على أثر حروب نابليون سنة ١٨١٤، وشملت كندا والهند وبعض جزر المحيط الهندي.

أما الثانية: فتبدأ باحتلال الجزائر عام ١٨٣٠ واستطاع الفرنسيون في هذه المرحلة أن يمدوا نفوذهم في شمال أفريقيا إلى الجزائر، وتونس وأخيراً إلى المغرب، وفي غرب القارة إلى ما أطلق عليه اسم (أفريقيا الغربية الفرنسية) وهي مناطق تبلغ مساحتها نحو سدس مساحة القارة الإجمالية.

كما مدوا نفوذهم إلى ما سُمي بأفريقيا الاستوائية الفرنسية، أما في شرق أفريقيا فإنهم لم ينجحوا في تثبيت أقدامهم إلا في المنطقة التي عُرفت (بالصومال الفرنسي) بالإضافة إلى جزيرة مدغشقر التي احتلتها فرنسا فترة من الزمن، ولم تنجح محاولات الفرنسيين المتعددة لربط مستعمراتهم في غرب القارة بمستعمراتهم في شرقها باتخاذ موطىء قديم لهم في أعالي النيل[١].

وكما اصطدمت فرنسا وهي تعمل لبناء أمبراطوريتها الأولى بانجلترا مما أدى إلى تصفية هذه الأمبرطورية ـ فقد اصطدمت أيضاً بها وهي تعمل لبناء أمبراطوريتها الثانية ـ لكن الاتفاق الذي أُبرم بين الدولتين في ١٨ أبريل سنة ١٩٠٤ والذي أطلق عليه اسم (**الاتفاق الودي**) وضع حداً لهذا الصدام.

وسندرس الظروف التي مدت فرنسا فيها نفوذها إلى كل من المناطق السابق ذكرها في أفريقيا.

---

(١) كانت من أهداف هانوتو (Hnaotau) وزير خارجية فرنسا ربط (دكار) في غرب أفريقيا و(جيبوتي) في الشرق بطرق مواصلات، وتكون فرنسا هي المتحكمة في البلاد الواقعة على جانبي هذا الخط.

أولاً: فرنسا فى شمال أفريقيا

١ ـ أطماع فرنسا فى مصر :

أدركت فرنسا من زمن بعيد أهمية البحر المتوسط والبلاد المطلة على هذا البحر.

ومن الدول الأفريقية المطلة على البحر المتوسط التى اتجهت إليها أنظار الفرنسيين مصر.

والمعروف أن أنظار الفرنسيين اتجهت صوب مصر مرات قبل حملتهم المشهورة عليها فى سنة ١٧٩٨، فقد اتجهت أنظارهم إليها أيام الحروب الصليبية.

ومهما قيل عن أسباب ودوافع الحملة التى قادها نابليون بونابرت على مصر فلا ريب فى أن من أهم هذه الدوافع التطاحن الاستعمارى والحربى بين انجلترا وفرنسا الذى أعقب الكشوف الجغرافية ـ لكن الفرنسيين لم يبقوا فى مصر أكثر من ثلاث سنوات (١٧٩٨ ـ ١٨٠١).

فقد أدركت انجلترا بصفة خاصة إدراكاً عملياً ـ أهمية احتلال مصر وأهمية بسط نفوذها على الطريق الحيوى المؤدى للهند.

وانتهى هذا الفصل من الصراع **بجلاء الفرنسيين عن مصر** سنة ١٨٠١ وظهر التنافس بين الفرنسيين والإنجليز بعد ذلك فى موقف كل من الدولتين من محمد على وعلاقاته بالدولة العثمانية وتدخلهما فى تحديد هذه العلاقات، ذلك التدخل الذى انتهى بوضع حد لنشاط محمد على.

ومن مظاهر هذا الصراع أيضاً موقف الدولتين من مشروع حفر قناة السويس الذى ظفرت به شركة ديليسبس، ومن الأزمة المالية فى عهدى إسماعيل وتوفيق، ومن الثورة العرابية، وأخيراً انفردت انجلترا بالعمل فاحتلت مصر سنة ١٨٨٢..

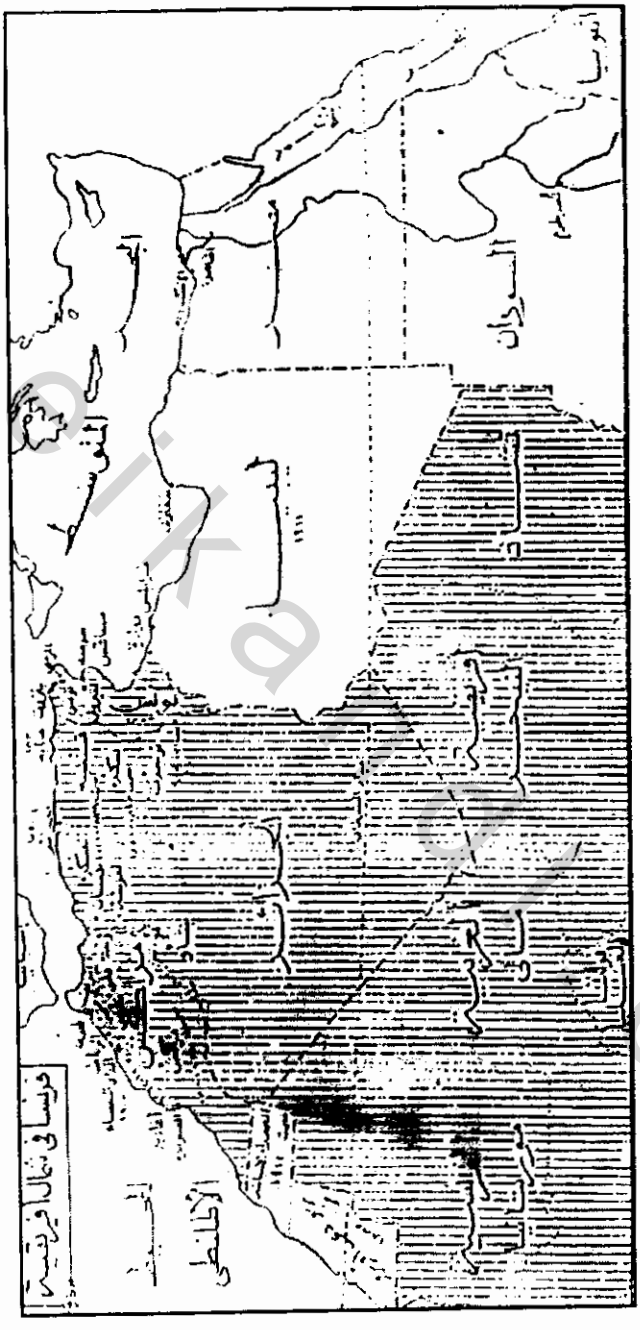

شكل رقم (١٧) خريطة فرنسا فى شمال أفريقية

obeikan.com

ب. الجزائر:

اتجهت أنظار الفرنسيين إلى المغرب العربى بعد أن وقفت انجلترا حائلاً دون تحقيق أطماعهم فى مصر والشام وبعد أن فقدوا مستعمراتهم فى الهند وكندا.

ولما أصاب **الدولة العثمانية الضعف** فى القرن السابع عشر وانشغلت بالدفاع عن كيانها ـ ضعفت سلطاتها فى بلاد المغرب، وصارت السلطة الحقيقية فى أيدى رؤساء القرصان والقوات غير النظامية، ومنذ سنة ١٦٧١ أصبحت مقاليد الأمور فى الجزائر فى يد الحاكم الملقب بـ (الداى) بينما كان يُطلق على الحاكم فى تونس منذ سنة ١٧٠٥ لقب (الباى).

وقد انتشرت **القرصنة** على السواحل حتى أنها أصبحت مورداً هاماً من أهم موارد الدولة وتذرعت فرنسا بهذه المسألة ـ مسألة محاربة القرصنة التى وجدت فى مظهرها الإنسانى ما يجعلها وسيلة صالحة للاستناد عليها لتحقيق أطماعها فى الجزائر.

والمسألة الأخرى التى تذرعت بها فرنسا هى مسألة **إهانة قنصلها فى الجزائر** وترجع جذور هذه المسألة إلى أن فرنسا أثناء الثورة الفرنسية كانت فى شديد الحاجة للقمح، وقد سمح الداى بمد فرنسا بحاجتها منه ـ لكنه الحكومة الفرنسية لم تدفع ثمن ما اشترته من قمح وظلت تماطل فى ذلك، وحدث فى عام ١٨٢٧ أثناء احتفال رسمى أن أُثيرت المسألة بين الداى والقنصل الفرنسى، وكان رد القنصل جافاً وجارحاً مما أثار الداى فأمر القنصل بالخروج من حضرته وكتب القنصل إلى حكومته طالباً اتخاذ الوسائل اللازمة للمحافظة على كرامة فرنسا[١].

على أنه من الأسباب الرئيسية التى جعلت الحكومة الفرنسية تقرر فى عام ١٨٣٠ إرسال حملة لغزو الجزائر أن مثل هذه الحملة ستجعل **أنظار الشعب الفرنسى متجهة إلى الخارج** وستساعد على تقوية الملكية.

(١) جلال يحيى: السياسة الفرنسية فى الجزائر (١٩٥٩) ص ٢٥ وما بعدها.

وكان موقف الملكية العائدة إلى فرنسا بعد هزيمة بونابرت فى حاجة إلى مغامرة عسكرية كهذه تقويها وتدعمها، فقد كان الشعب ينظر دائماً إلى حكومة شارل العاشر (Charlesx) على أنها الحكومة التى أتت على أكتاف الأجانب أعداء فرنسا.

وفى ٢٥ مايو ١٨٣٠ أبحرت من الموانى الفرنسية قوة بحرية فرنسية كبيرة، وفى ١٤ يونيو بدأ إنزال الجنود فى (سيدى فرج) **غربى مدينة الجزائر** وبعد أن استولوا على شبه جزيرة سيدى فرج ـ تقدموا صوب مدينة الجزائر ذاتها واستطاعت مدافع الفرنسيين أن تنسف جزءً كبيراً من قلعتها وأن تُشعل النار فى مخازن الذخيرة بها وأضطر الداى فى ٥ يوليو إلى قبول شروط الفرنسيين التى فرضوها عليه وتسليم المدينة لهم **وأهم ما اشتملت عليه هذه الشروط:**[١]

١ ـ تسليم جميع حصون مدينة الجزائر للفرنسيين.

٢ ـ يضمن القائد الفرنسى حرية الداى وممتلكاته الشخصية.

٣ ـ تترك الحرية للداى فى الإقامة أو الرحيل إلى أى مكان يريده.

٤ ـ عدم اتخاذ أية إجراءات إنتقامية ضد الجنود الجزائريين.

٥ ـ كفالة حرية الشعب الجزائرى فى إقامة شعائر الدين الإسلامى.

نابلى وأرسل القائد الفرنسى قوة احتلت بعض موانى الجزائر ـ لكن عندما حاولت القوات الفرنسية التوغل فى الداخل قوبلت بمقاومة عنيفة اضطرتها للتراجع.

والحقيقة أن نفوذ الفرنسيين فى هذه الفترة لم يتعد **أسوار مدينة الجزائر**.

وقد ظهر عجز الفرنسيين عن احتلال الجزائر واضحاً فى سرعة تغييرهم للقواد هناك، فقد تعاقب عدد كبير منهم فى فترة وجيزة.

على أن محاولات الفرنسيين للتوغل فى الداخل لم تنجح كثيراً فقد

---

(١) زاهر رياض: شمال أفريقيا فى العصر الحديث (١٩٦٧).

اقتصرت سلطتهم على احتلال النقاط الساحلية، بينما واجهتهم فى غرب الجزائر وفى شرقها مقاومة عنيدة.

أما فى الغرب فقد وجد الوطنيون فى (الأمير عبد القارد) قائداً استطاع أن ينظم حركة المقاومة ضد الفرنسيين.

الأمير عبد القادر الجزائرى ومقاومته للاستعمار الفرنسى للجزائر

اقترن اسم **الأمير عبد القادر الجزائرى** بالاحتلال الفرنسى، وصار علماً من أعلام المقاومة فى بلاد شمال أفريقيا، وكانت مقاومته رد فعل واع عكس روح قومه، وكان الأمير عبد القادر زعيماً من طراز جديد لم تعرفه الجزائر من قبل[١].

ويحاول بعض المؤرخين عقد مقارنة بين كفاح هذا الزعيم الجزذرى وبين زعماء المغرب كالمرابطين والموحدين الذين قاموا بجهادهم على أسس دينية، ويحاول البعض الآخر ربط حركته فى الجزائر بالدور الذى قام به محمد على فى مصر، ومهما اختلفت الآراء فإن كفاح الأمير عبد القادر كان **كفاحاً من نوع خاص**.

فقد كان كفاحاً يختلف فى طبيعته عن كل أنواع الكفاح فى شمال أفريقيا، فبعد أن احتل الفرنسيون مدينة الجزائر اجتمع العلماء وشيوخ الطرق الصوفية وطلبوا من (الشريف محيى الدين) **شيخ الطريقة القادرية** قبول البيعة ورأى الشريف أن ولده عبد القادر الشاب أقدر على حمل هذا العبء، وقبل الأمير عبد القادر البيعة، واتخذ من مدينة (المعسكر) مقرًا له وكان عمر الأمير حين بايعته القبائل فى غرب الجزائر أميراً عليها فى عام ١٨٣٢ ـ ٢٤ عاما[٢].

---

(١) انظر تفاصيل قصة هذا الزعيم الجزائرى فى: محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث . ص ص ٢٢٧ ـ ٢٥٨ .

(٢) يمكن الرجوع إلى نص البيعة فى كتاب :
محمد عبد القادر الجزائرى: تحفة الزائر فى مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر (الإسكندرية ١٩٠٣) جـ ١ ص ٩٨

نظم الأمير شؤون إمارته واستولى على تلمسان وفرض حصاراً على الفرنسيين فى وهران ومستغانم، واضطر القائد الفرنسى الجنرال دى ميشيل (Des Michels) أن يفاوض الأمير، وتم توقيع صلح بين الطرفين فى ٢٨ فبراير ١٨٣٤ وتقرر فى هذا الصلح وقف الخصومة، واحترام الفرنسيين للدين الإسلامى، وحرية التجارة، وتعيين وكيل لكل طرف لدى الطرف الآخر لنفيذ الاتفاق[١].

واعتبر الأمير عبد القادر هذا الاتفاق بمثابة **هدنة مؤقتة**، كما كانت المعاهدة فرصة لكى يجمع الأمير القبائل التى لم تدخل فى طاعته، ونجح فى بسط نفوذه على غرب الجزائر نفسها، ولما أحست فرنسا بخطور هذا التحريك - بدأت تتعاطف مع القبائل وتغريها للانضمام إلى جانبها، وعقدت فلاً (**معاهدة التينة**) مع الزعماء المحلين فى ١٦ يونيه ١٨٣٥ . واعتبر عبد القادر هذا التفاق خارقاً لمعاهدته مع الفرنسيين وتأزمت الأمور وخرجت قوة فرنسية بقيادة الجنرال تريزول (Trizel) التقطت بقوات الأمير عند المقطع، وهُزِمَ الفرنسيون هزيمة نكراء واضطرت فرنسا إلى إعادة كلوزيل مع قوة ضخمة للقضاء على الأمير عبد القادر، لكن القوات الجزائرية صمدت أمام هذا الغزو الفرنسى، واضطرت فرنسا إلى إرسال الجنرال **بيجو (Bugeaud)** إلى هوان لمقاومة الجزائريين، وساطتع بيجو فك الحصارعن تلمسان وانتصر على قوات الأمير عبد القادر فى معركة نهر سكاك فى يولية ١٨٣٦ واضطرت فرنسا فى النهاية وأمام عنف المقاومة إلى عقد اتفاق جديد مع الأمير عرف باتفاق تافنا (Tafna) فى ٢٠ مايو ١٨٣٧ .

وقد نص اتفاق تافنا على:

أولاً: اعترف الأمير بسلطة فرنسا على الساحل وأرض وهران ومتيجة ومستغانم.

---

(١) محمد خير فارس : مرجع ابق، ص ٢٣٦ .

ثانياً: اعترف فرنسا بسلطة الأمير عبد القادر فى تافنا وتلمسان وتيطرى.

ثالثاً: للأمير حرية شراء الأسلحة من فرنسا وللمسلمين حرية إقامة شعائرهم.

رابعاً: تعيين وكلاء من قبل الطرفين لدى الطرف الآخر.

واستطاع الأمير عبد القادر حسب هذا الاتفاق أن **يسيطر على ثلثى الجزائر**، وأتاح له الاتفاق فرصة تنظيم شؤونه وتكوين جيشه وإعداده بشكل منتظم.

وسعى الأمير عبد القادر إلى تكوين حكومة تختلف عن حكومات الجزائر التركية السابقة واعتمد على نفوذ الطرق الصوفية، وكان يشركهم معه فى قراراته بفتاوى شرعية، وكسب جانب رجال الدين فى المغرب، **وبنى دولته** على المساواة وعدم التمييز بين الناس، وأصلح القضاء وأوجد مجالس الاستئناف وكان حريصاً على تطبيق العدالة ووحد الضرائب وعممها على الجميع بدون استثناء وكانت الضرائب تجبى عيناً أو نقداً[١].

ونظم الأمير الجيش الذى وصل عدد جنوده إلى حوالى خمسة عشر ألفاً، وكّون الأمير أركان الحرب وكتيبة الأسرار، وأدخل على الجيش عدة تعديلات، وبنى الحصون الخاصة وأنشأ داراً للسلاح وداراً لسك العملة، وباختصارحاول الأمير **إقامة دولة عصرية** استعداداً للقاء الفرنسيين الذين كانوا يتحينون الفرصة للقضاء عليه، وبالفعل ما أن سويت مشكلات الفرنسيين فى شرقا لجزائر بإستيلائهم على مدينة (قسنطينة) حتى بدأت فرنسا تفكر فى شروط معاهدة تافنا من جديد وحدث الخلاف وقرر الأمير إرسال وفد لباريس لحسم النزاع - لكن حكومة فرنسا أفادت أن المفاوضات من اختصاص حاكم الجزائر، فعاد الوفد يجر أذيال الخيبة وكان واضحاً أن القوة هى السبيل الوحيد لفرض ما يريده الأمير، وليحافظ على شروط المعاهدة مع الفرنسيين.

ولما قام الجنرال الفرنسى (فالى) **بجولة استطلاعية فى سهل المتيجة** اعتبرها

---

(١) أنظر تفاصيل هذا النظام الإدارى فى :

شوقى الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصرالحديث ص ص ٢٧٢ - ٢٧٥ .

obeikandi.com

الأمير خَرْقٌ بمعاهدة. وعزلت فرنسا الجنرال فالى وعينت بيجو مكانه وكان هذا يعنى بداية مرحلة جديدة فى علاقات فرنسا مع الأمير.

وبالفعل وضع بيجو نظاماً حربياًجديداً ضد الأمير عبد القادر. واعتمد خطة مؤداها شغل الأمير فى معارك متعددة حتى يستنزف قواه البشرية والمادية والاعتماد على سرعة الحركة والتنفيذ، وحَولّ الجيش إلى **طوابير صغيرة سريعة** الحركة وتخلص مما كان يعوق حركة الجندى من معدات وملابس ثقيلة، واستطاع بيجو أن يستولى على مدينة (**المعسكر**) التى اتخذها الأمير عاصمة له فى عام ١٨٤١ وخربها إلى جانب القرى المجاورة، وفى العام التالى استولى على تلمسان ومستغانم وعلى أهم المراكز فى إقليم وهران، وضيق الخناق على الأمير الذى اضطر إلى **الانتقال للصحراء**، ولما اشتد حصار الفرنسيين له فر إلى المغرب حيث كان المولى عبد الرحمن يناصره، ولكن هذا لم يمنع الجيش الفرنسى من التوغل فى المغرب، ونشبت معركة إسلى فى عام ١٨٤٤ انتصرت فيها فرنسا واضطر المغرب إلى توقيع اتفاق مع الفرنسيين فى ١٠ سبتمبر ١٨٤٤ عرف باسم (**اتفاق طنجة**) وقد نص على عدم تقديم مساعدة من جانب المغرب للأمير عبد القادر[١].

وبهذا الاتفاق فقد الأمير الدعم المغربى وصار وحيداً فى معركته ضد جيش منظم على أحدث السبل وبقوات أحكمت السيطرة على سواحل الجزائر ومنعت أى دعم يصل للأمير، وتساقطت قيادات الأمير الواحدة تلو الأخرى ولكنه لم يستسلم وظل يقاوم، وقد اتبع بيجو فى حربه ضد الأمير عبد القادر وأتباعه طريقة **الإرهاب، وإحراق الحقول واختطاف الأغنام** ولم يتورع عن إحراق القرى والملاجىء الجبلية التى لجأ إليها السكان فقضى على من فيها جملة، وقد عبَّر بيجو عن خصائص هذه الحرب فى مجلس النواب الفرنسى

(١) محمد خير فارس: مرجع سابق ٢٥٧ .

بقوله: «يلزمنا أن نقوم بحملة اكتساح كبرى تشبه حملات النقوض»[١]. وأخيراً بعد أن ضاقت به السبل ولم يجد من نصير يقف بجانبه قرر الأمير عبد القادر **الاستسلام** بعد أن أدى دوراً بطولياً مشرفاً استحق أن يسجله التاريخ بكل إعزاز فى تلك الفترة المبكرة من الاستعمار الأوروبى لشمال أفريقيا[٢].

تم استسلام الأمير فى ديسمبر عام ١٨٤٧ بعد هذا الجهاد المرير الذى استمر قرابة خمسة عشر عاماً، وسجنا لأمير فى حصن فرنسى، ثم سمح له بالسفر إلى دمشق عام ١٨٥٢ حيث توفى هناك عام ١٨٨٣ . وباستسلام الأمير تطوى صفحة من جهاد الشعب الجزائرى إلى حين ثم تبدأ فترة أخرى تواصل الكفاح ضد المستعمر الفرنسى.

ج. تونس:

فى عام ١٥٧٤ أُلحقت تونس بالولايات العثمانية، وظل الوضع كذلك حتى ختام القرن السادس عشر حين ضعف سلطان الأتراك العثمانيين فلم يُصبح لهم على هذه البلاد إلا السيادة الإسمية فقط وأصبحت السلطة الحقيقية فى يد الحكام الذين عُرفوا (**بالبايات**).

لكن منذ فتحت فرنسا الجزائر أخذت أنظارها تتجه إلى تونس، وشعر بايات تونس بحقيقة هذه الأطماع ـ لكن لم تكن فرنسا وحدها هى التى تتطلع للإستيلاء على تونس فقد كانت تنافسها فى ذلك كل من انجلترا وإيطاليا.

ورغم الجهود التي بذلها البايات للنهضة بالبلاد وإصلاح شئونها فقد تورطوا فى علاقتهم المالية بالأجانب واستعانوا بالشركات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية فى مشروعاتهم وبذا مهدوا الطريق أمام المستعمرين ليحققوا أطماعهم فى البلاد.

---

(١) هنرى كلود، أندريه، إيف لاكوست: الاستعمار الفرنسى فى المغرب العربى (ترجمة محمد عنانى) د. ت ص ١٣٦ .

(٢) أنظر: جلال يحيى: مرجع سابق، ص ص ٥٦٨ ـ ٥٨٦ .

والأوضاع فى تونس فى هذه الفترة شبيهة بتلك التى سادت مصر فى عهد الخديوى إسماعيل، بل كانت النتائج التى ترتبت عليها متماثلة فى البلدين.

فالحركة الإصلاحية فى تونس ارتبطت بالمشكلة المالية التى نشأت بسبب إسراف البايات وطمع الوزراء وخراب ذممهم وعجز ميزانية الدولة عن مسايرة ما تطلبته وجوه الإصلاح المختلفة من نفقات خاصة بعد انتشار المجاعات والأمراض، وانتهى الأمر بارتباط تونس بالدول الأجنبية بسبب الديون التى تراكمت عليها، وأدى ذلك إلى الإشراف المالى عن طريق (لجنةدولية) وبذلك مُهد الطريق للاحتلال الفرنسى لتونس[١].

واستمرت الحكومة التونسية فى **الاستدانة** من الخارج، كما لجأت لإصدار سندات على الخزانة وأضطرت الحكومة لإعلان إفلاسها، وكانت فرنسا تترقب هذه الخطوة ولم يعوقها من التدخل فى ذلك الوقت إلا منع انجلترا وإيطاليا - فرنسا من أن تنفرد باتخاذ خطوة حاسمة بشأن تونس، فاتفق فى أبريل ١٨٦٨ على تشكيل (**القومسيون المالى**) كما أطلق عليه، وهو شبيه بصندوق الدين فى مصر، على أن الأمر الذى تحكم فى تحديد الدولة التى يمكن أن تستفيد من الموقف وتوجه ضربتها النهائية إلى تونس هو الظروف الدولية والعلاقات بين الدول الكبرى ومصالحها، وقد اهتمت فرنسا بالحصول على موافقة انجلترا بالذات فيما يتعلق بنياتها التوسعية فى تونس، وانتهزت فرنسا فرصة ضم **بريطانيا لجزيرة قبرص** لتحقق هدفها، وكانت هذه الجزيرة تابعة للدولة العثمانية، ففى انعقاد مؤتمر الدول الكبرى فى برلين برئاسة بسمارك المستشار الألمانى فى عام ١٨٧٨ دارت المساومات بين ممثلى هذه الدول، فاتفق على ألا تعارض بريطانيا فى أى تدخل فرنسى فى تونس مقابل عدم اعتراض فرنسا على اتفاقية قبرص التى كانت تُعتبر نقضاً للاتفاقيات الدولية السابقة بشأن عدم المساس بالأملاك العثمانية[٢].

---

(١) محمد بيرم: صفوة الأعتبار بمستودع الأمصار(القاهرة ١٣٠٢هـ) جـ ٢ ص ٢٤.

(٢) Satwat. M. : Tunis and The Powers (1878 - 1881) (1944) p. 123.

ولم تبق من عقبة فى وجه فرنسا لتحقيق أطماعها فى تونس سوى **إيطاليا**.

وقد حاولت فرنسا أن تحول دون معارضة إيطاليا لها فى تونس فأشارت إلى أنه فى وسع إيطاليا أن **تحتل طرابلس** فتجد فيها خير العوض عن أطماعها فى تونس وأن فرنسا لن تعترض عليها إذا أقدمت على هذا العمل.

وبدت الظروف مناسبة فى نظر الفرنسيين للتدخل حين عبرت إحدى القبائل التونسية الحدود الفاصلة بين تونس والجزائر واقترفت بعض السرقات البسيطة المعتادة بين الرعاة، فأُعدت حملة فرنسية إدعت فرنسا أن مهمتها تأديب هذه القبائل التى لا يملك الباى عليها أى سلطان.

وفى ٢٩ أبريل ١٨٨١ عبر الجنود الفرنسيون الحدود واحتلوا (الكاف)، و(طبرقة) بدون مقاومة، كما أنزلت فرنسا بعض قواتها التى أبحرت من ميناء طولون فى (بنزرت).

وبعد احتلالهم لها تقدموا صوب العاصمة وقدم السفير الفرنسى إلى الباى نسخة من المعاهدة المطلوب التوقيع عليها، وأعطى مهلة خمس ساعات لقبول المساعدة أو رفضها، وأضطر الباى للتوقيع على المعاهدة، وسط هذا الجو الغريب من الإرهاب.

معاهدة باردو، ومعاهدة المرسى:

نص فى معاهدة باردو (Bardo Treaty) التى وُقعت فى ١٢ مايو ١٨٨١ على أن تحتل القوات الفرنسية المراكز التى تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تقرر السلطات الفرنسية والتونسية أن الإدارة المحلية قادرة على المحافظة على الأمن.

وفى يونيو ١٨٨٣ وقع على باى الذى خلف محمد الصادق ـ بعد وفاته فى أكتوبر ١٨٨٧ ـ (**معاهدة المرسى**) التى منحت فرنسا السلطة الكاملة فى تونس[١].

---

(١) أنظر هذه المعاهدات فى:

نقولا زيادة: تونس فى عهد الحماية (١٨٨١ ـ ١٩٣٤) (القاهرة ١٩٦٣) ص ٢٣٨ وما بعدها.

د. مراكش:

سبق أن تعرضنا لظروف الحماية الفرنسية على مراكش عند الحديث عن الاستعمار الأسبانى وامتداد نفوذ أسبانيا لمنطقة الريف المغربية وسنسترجع هنا بعض الأحداث المتعلقة بعلاقة فرنسا بمراكش فى هذه الفترة.

فبعد أن استولت فرنسا على الجزائر - بدأت تهتم بمراكش، وشعرت فرنسا أكثر بأهمية سيطرتها على مراكش عندما ساعد سلطان المغرب الأمير عبد القادر الجزائرى فى كفاحه ضد المستعمرين الفرنسيين مما أدى لنشوب معركة إسلى سنة ١٨٤٤ بين فرنسا ومراكش، وقد انتهت هذه المعركة التى انتصرت فيها فرنسا (باتفاقية طنجة) فى ١٠ سبتمبر ١٨٤٤ .

ولم يكن يقف أمام تحقيق الأطماع الفرنسية في المغرب سوى معارضة الدول الاستعمارية الأخرى صاحبة المصالح والأطماع فى هذه المناطق (انجلترا، وإيطاليا، وأسبانيا، وألمانيا).

ولذا اتجهت فرنسا لعقدة **سلسلة من الاتفاقيات الدولية** - مع الدول صاحبة المصلحة فى مراكش قبل أن تتخذ خطوة حاسمة تحقق فيها أهدافها التوسعية فى هذه البلاد[١].

١ - فعقدت فى سنة ١٩٠٢ اتفاقاً مع إيطاليا اتفق فيه على أن تترك إيطاليا لفرنسا اليد المطلقة فى مراكش فى نظير ترك فرنسا لإيطاليا حرية التصرف فى ليبيا.

٢ - وفى سنة ١٩٠٤ **وقع الاتفاق الودى** المشهور بين انجلترا وفرنسا الذى تبودلت فيه مصر بمراكش كما تُتبادل السلع، فقد أُتفق فيه على أن تترك إنجلترا يد يد فرنسا حرة فى المغرب فى مقابل تُترك فرنسا يد انجلترا حرة فى مصر فلا تستمر فى مطالبتها بتحديد موعد لإنهاء احتلالها فى مصر[٢].

---

(١) عن هذه الاتفاقات يرجع إلى :

حسن عبجى: التنافس الدولى الاستعمارى الأوروبى فى المغرب (القاهرة ١٩٦٥).

(٢) للدراسة التفصيلية يرجع إلى: محمد حامد عبد الله إبراهيم: الاتفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا (٨ أبريل ١٩٠٤) وانعكاساته على الاستعمار الأوروبى فى أفريقيا رسالة ماجستير - معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٢ .

٣ ـ ولم تبق فى الحقيقة من عقبة فى وجه فرنسا لتحقيق أطماعها فى مراكش سوى **ألمانيا** التى أثارها اتفاق الدولتين (انجلترا، وفرنسا) وتجاهلها هى ومصالحها فى مراكش ـ وتعبيراً عن موقفها من النفوذ الفرنسى فى مراكش ـ قام الأمبراطور (غليوم الثانى) بزيارة لطنجة فى مارس ١٩٠٩، وأعلن فى خطاب ألقاه هناك بأن ألمانيا لا تسمح لأى دولة أجنبية بأن تمس سلطة الحاكم الشرعى للمغرب.

٤ ـ وانتهزت الحكومة المراكشية فرصة مساعدة ألمانيا لها فدعت إلى عقد مؤتمر دولى للنظر فى **شئون مراكش**، وقد عُقد هذا المؤتمر فى مدينة **الجزيرة الخضراء الأسبانية(ألجزيراس)** فى الفترة من ١٤ يناير حتى ٧ أبريل ١٩٠٦، وكانت نتيجته عكس ما سعت إليه حكومة المغرب التى دعت إليه.

وقد جاءت قرارات المؤتمر **مدعمة للنفوذ الفرنسى والأسبانى** فى المغرب تقرر أن يتولى فرنسيون الإشراف على قوات البوليس المراكشى فى المدن الواقعة على ساحل الأطلنطى، ويشرف الأسبان على بوليس المدن الواقعة على البحر المتوسط.

واتخذت فرنسا من إشرافها على البوليس المراكشى فى الموانى الهامة الواقعة على المحيط الأطلنطى فرصة لتقوية نفوذها فى هذه الموانى.

٥ ـ أما ألمانيا فقد تحركت أخيراً إذا أوفدت فى يوليو ١٩١١ طراداً إلى **(أغادير)** على المحيط الأطلنطى فيما يمكن أن نسميه تلميحاً باستخدام القوة العسكرية.

وجرت مفاوضات بين فرنسا وألمانيا، وقد رضيت فرنسا بالتنازل لألمانيا عن قطعة من الأرض الجرداء تقع فى **شمال (الكنغو الفرنسى)** فى مقابل أن تطلق ألمانيا يدها فى المغرب، فلا تُعرقل قيام حماية فرنسية على مراكش ولا تُعارض فى ممارسة فرنسا لشئون مراكش الخارجية.

هكذا استطاعت فرنسا أن تتخطى العقبات التى تعترض إعلان حمايتها على

مراكش. ولذا سافر رينو (Regnult) على رأس بعثة إلى فاس ومعه شروط المعاهدة المراد توقيعها، وفى ٣٠ مارس ١٩١٢ أضطر السلطان على توقيع معاهدة الحماية وقد عبّر السلطان للمقيم الفرنسى عن ضيقه بالضغوط الفرنسية بقوله: «لقد أخطأت فرنسا فى تشددها فى اتفاقية الحماية - فإن انجلترا تتمتع بكل إمتيازاتها فى مصر ولم تنطق بهذه الكلمة»[١].

وهكذا فرضت فرنسا حمايتها على المغرب واقتسمت هذه البلاد بينها وبين أسبانيا فتركت فرنسا لأسبانيا المنطقة الشمالية من المغرب التى عُرفت باسم (المنطقة الخليفية)، بينما احتفظت فرنسا بالمنطقة الجنوبية (المنطقة السلطانية)، واحتفظت طنجة بصفتها الدولية الخاصة وعينت فرنسا ليوتى (Loutey) أول مقيم لها فى مراكش.

ثانياً: فرنسا فى أفريقيا الغربية والوسطى

أ. أفريقيا الغربية الفرنسية (A. O. F.):

كانت فرنسا أكثر الدول الأوروبية نشاطاً فى غرب أفريقيا، وكانت بداية هذا النشاط الفرنسى رحلات وصلت إلى (السنغال) بقصد تأسيس محطات تجارية فى هذه المنطقة وترتب على ذلك تكوى ما عُرف بأفريقيا الغربية الفرنسية (Afrique Occidental Francaise - A. O. F.) من سبع مستعمرات (السنغال، وموريتانيا، السودان الفرنسى، غينيا الفرنسية، ساحل العاج، فولتا العليا، وداهومى، والنيجر).

وقد عَين الفرنسيون فى عام ١٨٥٤ الجنرال فيد هرب (Feidharbe) حاكماً على السنغال ليدعم نفوذ فرنسا فى هذه المناطق، فأخذ يتوغل فى الداخل وقد إصطدم الفرنسيون فى توغلهم بالممالك الإسلامية[٢]. التى كانت قائمة فى هذه

---

(١) Cambon, H. : Histoire du Maroc (Paris 1952) p. 222.

(٢) عن الممالك الإسلامية بغرب أفريقيا أنظر:
عبد الرحمن زكى: تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية (القاهرة ١٩٦١).

obeikandl.com

الجهات، وبقبائل الطوارق والسنوسيين وغيرهم - كما اصطدموا بزعامات أفريقية مثل الزعيم (أحمد وشيخو) زعيم قبائل التكرور، و(ساموري)زعيم الماندنجو، و(رابح الزبير) الذى كان قد تقدم من دارفور بالسودان واستطاع إخضاع سلطنة برنو ووصل إلى جنوبى بحيرة تشاد[١].

واستطاع الفرنسيون فى النهاية القضاء على هذه المقاومة الوطنية وبسطوا نفوذهم على منطقة واسعة فى غرب أفريقيا.

ب.أفريقيا الاستوائية الفرنسية (A. E. F.):

امتد نفوذ الفرنسيين على الضفة اليمنى لنهر الكنغو نتيجة لجهود بعض المكتشفين والرواد الفرنسيين وفى مقدمتهم الكابتن دى برازا (De Braza) وقد امتد نفوذ الفرنسيين فى هذه المنطقة شمالاً حتى وصل لمنطقة نفوذهم فى شمال أفريقيا بعد استيلائهم على الصحراء - وتكوّن ما أطلق عليه اسم أفريقيا الاستوائية الفرنسية (Afrique Equatoriale Francaise - A. E. F.) من مستعمرات (تشاد، وأفريقيا الوسطى، والكميرون، والكنغو الفرنسية، وجابون)[٢].

وقد عقدت فرنسا عدة اتفاقات مع الدول الاستعمارية الأخرى حدّدت بمقتضاها مناطق نفوذها فى غرب القارة وفى المناطق الأستوائية التى امتد نفوذها إليها، وبذا أصبحت لها أمبراطورية ضخمة فى أفريقيا تشمل الجزائر وتونس ثم المغرب فى شمال أفريقيا وغرباً من داكار إلى حدود سودان وادى النيل، وتمتد جنوباً إلى سواحل الكنغو.

---

(١) عن المقاومة الوطنية ضد الفرنسيين أنظر:

- نصر الدين رشوان: دولة ساموری فى غرب أفريقيا (دكتواه معهد البحوث الأفريقية ١٩٧٨).

- حسن على منيسى محمد: رابح فضل الله الزبير ودوره فى مقاومة الاستعمار فى أفريقيا (ماجستير معهد البحوث الأفريقية ١٩٩٢).

(٢) عن دور دى برازا فى مد النفوذ الفرنسى فى الكنغو - أنظر:

محمد حسن محمد على: دى برازا ودوره فى مد النفوذ الفرنسى فى الكنغو (رسالة ماجستير معهد البحوث الأفريقية ١٩٩١).

openkandil.com

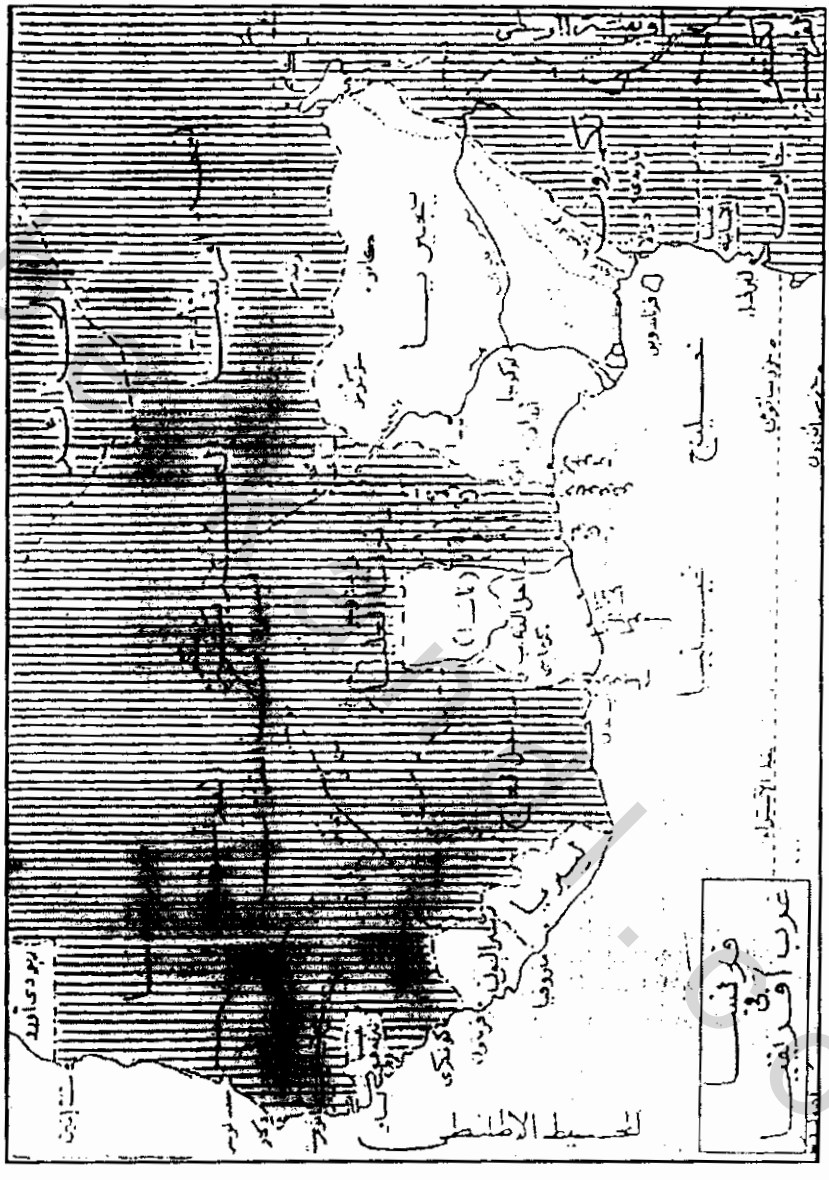

شكل رقم (١٨) خريطة فرنسا فى غرب أفريقيا

ثالثاً: الكمرون وتوجو

لما هُزمت ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) حُرمت منجميع مستعمراتها وعَهدت عصبة الأمم بإدارة هذه المستعمرات إلى بعض الدول المنتصرة تحت إشراف عصبة الأمم فى ظل ما عرف (بنظام الانتداب).

وبناء على هذا النظام قُسمت توجو إلى قسمين القسم الأكبر (الغربى) جعل تحت الانتداب الفرنسى فضمته فرنسا إلى داهومى بينما ضمت انجلترا القسم الآخر (الشرقى) إلى ساحل الذهب.

أما الكمرون فقد قُسمت أيضاً إلى قسمين ـ قسم (شرقى) وضع تحت الانتداب الفرنسى فضمته إلى أفريقيا الاستوائية الفرنسية والآخر (الغربى) وضع تحت حكم إنجلترا فضمته إلى نجيريا البريطانية.

وحين قامت هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) عهدت بهذه البلاد إلى نفس الدول السابقة فى ظل نظام الوصاية.

رابعاً: فرنسا فى سواحل أفريقيا الشرقية ومدغشقر

أ. فرنسا فى شرق أفريقيا:

يرجع اهتمام الفرنسيين والإنجليز بوجه خاص ـ بالسواحل الشرقية لأفريقيا إلى الاهتمام بالطريق الملاحى المؤدى إلى الهند.

واشتد النضال بين فرنسا وإنجلترا فترة من الزمن فى سبيل السيطرة على هذا الطريق كوسيلة لكل من الدولتين لتهديد مصالح الأخرى.

وكانت فرنسا قد اشترت فى سنة ١٨٦٢ من أحد مشايخ القبائل المحليين ميناءً صغيراً على خليج تاجوره يسمى (أبوك).

وبالطبع كانت هذه الوسائل التى اتبعتها الدول الاستعمارية لوضع أيديها على مناطق شاسعة من القارة ـ شائعة فى ذلك الوقت.

على أن فرنسا لم تقم باحتلال هذا الميناء احتلالاً عسكرياً حتى عام ١٨٨٢م

ـ حينما أيقظت الأحداث التى كانت تجرى فى مصر أذهان الفرنسيين إلى أهمية هذه المنطقة التى وضعت فرنسا يدها عليها فأسرعت بإرسال قواتها لاحتلالها وضغطت على السلطان المحلى ليتنازل لها عن بقية ممتلكاته المحيطة بهذه المنطقة، كما استولت فرنسا بالطرق ذاتها على ميناء (جيبوتى) سنة ١٨٨٨م، وتبلغ مساحة هذه المنطقة ما يقرب من ٥٧٩٠ ميلاً مربعاً وهى محصورة بين إرتريا وأثيوبيا والصومال البريطانى، وترجع أهمية هذه المنطقة الساحلية إلى إنها قريبة من منافذ البحر الأحمر، كما يمكن استخدامها كمنفذ لتجارة الحبشة.

وفى سنة ١٨٩٦ صدر مرسوم فرنسى بوضع هذه المناطق التى استولت عليها فرنسا فى شرق أفريقيا بالطرق التى ذكرناها تحت إدارة واحدة عُرفت باسم (**الصومال الفرنسى**) واتخذت جيبوتى مقراً للحاكم الفرنسى[١].

ب. فرنسا فى مدغشقر:

جزيرة مدغشقر جزيرة معروفة منذ القدم، فقد أشار إليها بطليموس الذى كتب فى القرن الثانى الميلادى، كما جاء ذكرها فى كتاب العرب قبل الإسلام.

وفى سنة ١٦٤٢ بدأت فرنسا محاولاتها لاستعمار الجزيرة فأرسلت حملة استطاعت أن تنزل فى جنوب شرق الجزيرة.

ولما أسست **شركة الهند الشرقية الفرنسية** سنة ١٦٦٤ أخذت الجزيرة لحسابها من الملك لويس الرابع عشر الذى كانت الجزيرة قد أُشتريت باسمه من أحد الأشراف الحاكمين ـ لكن حدثت مذبحة فى سنة ١٦٧٢ قتل فيها الوطنيون معظم الفرنسيين بالجزيرة.

وحاولت انجلترا منافسة فرنسا فى هذا الميدان فأستولت على ميناء (**تاماناف**)

---

(١) شوقى الجمل: تاريخ سودان وادى النيل جـ ٢ (١٩٦٩) ص ٢٢٤ .

كما عقدت معاهدات مع زعماء بعض القبائل فى الشمال الشرقى من الجزيرة. على أن الكتاب الفرنسيين من دعاة الاستعمار - ظلوا يحرضون حكومتهم على وضع يدها على مدغشقر بل وعلى طول الساحل الشرقى الأفريقى المقابل لها وعلى الدبشة.

وفى عام ١٨٨٣ أرسلت فرنسا أسطولاً هاجم جزيرة مدغشقر وضرب موانيها، وفى سنة ١٨٨٦ عقدت معاهدة بين حكومة مدغشقر الوطنية والفرنسيين اتفق فيها على أن تدفع حكومة الجزيرة للفرنسيين جزية سنوية وأن تعامل الرعايا الفرنسيين فى الجزيرة معاملة خاصة ممتازة.

وفى سنة ١٨٩٠ اعترفت انجلترا **بحماية فرنسا على مدغشقر** فى مقابل اعتراف فرنسا بحماية انجلترا على زنجبار.

خامساً: محاولات فرنسا مد نفوذها إلى أعالى النيل

أدى اتجاه أطماع كل من الفرنسيين والبلجيك إلى مد نفوذهم إلى منطقة أعالى النيل - إلى إثارة مشكلة جديدة فى العلاقات بين الدول الاستعمارية الكبرى فى ذلك الوقت هى مشكلة أعالى النيل والسودان.

ومنذ عام ١٨٩٦ أخذت الحكومة الفرنسية تفكر جدياً فى مد نفوذها إلى حوض النيل.

ولهذا الغرض تقرر أن ترسل حملة فرنسية للزحف صوب النيل **من الشرق** بعد الحصول على موافقة إثيوبيا على أن تسهل مرور الحملة الفرنسية عبر أراضيها، بينما تزحف حملة أخرى من الغرب على النيل، وقد أرسلت إنجلترا إلى الحبشة بعثة إنجليزية برئاسة **رنيل رود** (Renell Rodd) لتصفية الجو بين إنجلترا والحبشة لمواجهة الخطط الفرنسية.

وفى عام ١٨٩٦ أُرسلت حملة فرنسية بقيادة مارشان (Marchand) صوب النيل، وكانت تضم الحملة مائة وخمسين جندياً سنغالياً وستة ضباط أوروبيين

تحركوا من (الكنغو الفرنسي) حتى وصلوا إلى (فاشودة) التي بلغتها الحملة في الساعة الخامسة من مساء الأحد ١٠ يونيو ١٨٩٨ ورفعت العلم الفرنسي على أنقاض القلعة المصرية القديمة هناك[١].

وقد اختلفت الآراء فيما يختص بأهداف هذه البعثة، هل كانت فرنسا ترمي إلى البقاء فعلاً في هذه المنطقة لربط أملاكها في غرب القارة بأملاكها في الشرق أم كان الهدف مناواة انجلترا التي كانت تحتل مصر؟

وبعد (واقعة أم درمان) طلبت انجلترا من سردار الجيش المصري السير (هربرت كتشنر) بمجرد علمه بأخبار احتلال الفرنسيين لفاشود ـ الزحف جنوباً وكانت التعليمات التي أصدرتها انجلترا لكتشنر تقضي بأن يحاول إقناع قائد الحملة الفرنسية ـ بأن وجوده في وادي النيل إعتداء على حقوق بريطانيا العظمى والخديوي معاً.

وفي ٢١ سبتمبر ١٨٩٨ دخل **كتشنر فاشوردة** ودارت مناقشة عنيفة بينه وبين مارشان كادت تؤدي لاستخدام القوة ـ لكن اتفق القائدان على أن يرفع كتشنر العلم المصري على فاشودة على مسافة ٥٠٠٠ ياردة جنوبي الموقع الفرنسي وأن ينتظر رد الحكومة الفرنسية على الرسالة التي بعث بها مارشان يطلب تعليماتها.

ولم تكن فرنسا في ذلك الوقت مستعدة للاشتباك مع انجلترا في قتال قد يعود عليها وعلى مستعمراتها بعواقب وخيمة.. لذلك فقد أذعن وزير الخارجية الفرنسي للأمر الواقع وقرر مفاوضة الإنجليز لحل مسألة فاشودة سلمياً ـ وبناءً على ذلك صدرت الأوامر لمارشان بأن ينسحب مع بعثته عن طريق الحبشة ويرجع لفرنسا، وفي ١١ ديسمبر ١٨٩٨ تم جلاء الفرنسيين عن فاشوده.

---

(١) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى:
على إبراهيم عبده: المنافسة الدولية في أعالي النيل (١٨٨٠ ـ ١٩٠٦) (القاهرة ١٩٥٨) ص ٢٠٠.

سياسة فرنسا الاستعمارية فى أفريقيا

رسمت فرنسا سياستها الاستعمارية فى أفريقيا على أساس فلسفة معينة، ويختلف نظام الحكم الاستعمارى الفرنسى عن النظم البريطانى، فبينما يُعتبر نظام الحكم (غير المباشر) أحد المظاهر الرئيسية المميزة للحكم البريطانى فإن (**الحكم المباشر**) هو سمة النظم الحكومية التى أقامتها فرنسا فى قارة أفريقيا.

فبينما اعتمدت بريطانيا فى حكمها للأفريقيين على تعاون الرؤساء والزعماء الوطنيين، ولم تقض على المؤسسات القبلية والتقليدية الموجودة فى المجتمعات الأفريقية ـ فإن فرنسا قضت على جميع الزعامات القبلية والمحلية والنظم التى كانت موجودة أصلاً فى البلاد الأفريقية التى خضعت لها، وأخضعت هذه البلاد وشعوبها تحت حكمها المباشر، وحتى حين أضطرت فرنسا لتغيير سياستها الاستعمارية ومحاولة إشراك بعض العناصر الأفريقية فى الحكم ـ فإن الأمر لم يهدف لتنفيذ سياسة نظام الحكم المباشر ـ فقد ظلت السلطة الحقيقية فى يد القواد العسكريين والموظفين الفرنسيين[١].

والعجيب أن السياسة الاستعمارية الفرنسية بُنيت على بعض **المبادىء البراقة** فى مظهرها التى أعلنتها الثورة الفرنسية، فقد استند الفرنسيون على أنجميع سكان المستعمرات يجب أن يكونوا مواطنين فرنسيين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات، وعلى هذا الأساس قامت **نظرية الامتصاص أو الاستيعاب** (Asimilation) والمقصود بها صبغ المستعمرات بالصبغة الفرنسية عن طريق فرض ثقافة الفرنسيين (استعمار ثقافى) ولغتهم وتقاليدهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية على الأفريقيين حتى يستوعبوها تماماً فيصبح تفكيرهم واتجاههم فى مختلف نواحى الحياة تماماً كالفرنسيين، ويتطلب هذا بالطبع قطع كل صلة للأفريقى بتاريخه القومى وحضارته الأفريقية بمختلف مظاهرها ومقوماتها، ثم

---

(١) عبد الملك عودة: السياسة والحكم فى أفريقيا (١٩٥٩).

يتشرب تدريجياً الثقافة الفرنسية بما يتصل بها من تقاليد ومظاهر حضارية ويرتبط تاريخياً واجتماعياً وسياسياً بالأم الكبرى فرنسا.

وقد كانت كل مستعمرة فرنسية خاضعة لحاكم عام فرنسي يتلقى أوامره من وزير المستعمرات في باريس، ويعاون الوزير (المجلس الأعلى للمستعمرات) بالإضافة إلى (مجالس استشارية) أخرى متخصصة في بعض الشئون كالتعليم، والشئون الصحية ويعاون الحاكم العام في المستعمرة مجموعة من المواطنين الفرنسيين تعينهم وزارة المستعمرات ليرأسوا الإدارات المختلفة بها.

وقد ألزمت الأحداث العالمية والتي مرت بفرنسا ذاتها ساستها بأن يُراجعوا موقفهم وسياستهم مع الدول الخاضعة لنفوذهم، وأدى هذا إلى عقد عدة مؤتمرات لمناقشة علاقة فرنسا الأم بمستعمراتها، ومن أهم هذه المؤتمرات (مؤتمر برازافيل) في ١٩٤٤م ، وقد ترتب على ذلك أن أصدرت فرنسا عدة دساتير لتطوير علاقاتها بمستعمراتها الأفريقية من أهمها دستورالجمهورية الرابعة في أكتوبر ١٩٤٦ ودستور ديجول في ١٩٥٨ .

الذي نص على منح المستعمرات الفرنسية استقلالها ما عرف (بالحملة الفرنسية) التي تشبه اللوفولث البريطاني.

نهاية الاستعمار الفرنسي في أفريقيا

١ ـ رأينا كيف مدت فرنسا نفوذها إلى شمال أفريقيا، وغربها وشرقها.

وقد لقي الفرنسيون مقاومة عنيفة لعل أبرزها مقاومة **الأمير عبد القادر الجزائري** في الجزائر، وقبائل الصحراء الغربية وزعمائها متمثلة في قبائل الطوارف، وفي شخصيات مثل **أحمد وشيخو وساموري ورابح فضل الله**، وقد أشرنا إلى ذلك في حينه، وقد نجحت فرنسا بأسلحتها أن تخمد هذه المقاومة الوطنية إلى حين.

٢ ـ لكن لم تستطع فرنسا أن تقف في وجه التيار التحرري الذي اجتاح القارة خاصة بعد الحرب العظمى الثانية نتجة الشعارات التي نادى بها الحلفاء

أثناء الحربين الأولى والثانية، والاحتكاك الحضارى بين الأفارقة وغيرهم، وما وصل إليه بعض الأفارقة من مستوى ثقافى، ولم تنجح محاولات الفرنسيين لتهدئة هذه الحركات.

ولعل آخر هذه المحاولات هى الدستور الذى وضعه **ديجول** فى عام ١٩٥٨ الذى بموجبه تقرر استقلال الأقاليم الخاضعة لفرنسا وأن تكون فرنسا مع الجمهوريات الأفريقية التى تقبله رابطة (**الجماعة الفرنسية**)، وهى شبيهة بنظام الكومنولث البريطانى[١]. وقد قبلت جميع الأقاليم الخاضعة لفرنسا هذا الوضع ماعدا **غينيا** التى فضلت أن تستقل دون ارتباط بفرنسا.

٣ ـ وأضطرت فرنسا فى عام ١٩٦٠ لأن تُذعن للأمر الواقع فاعترفت عام ١٩٦٠ **باستقلال دول الجماعة الفرنسية**، وعقدت مع كل منها معاهدة تحدد نوع العلاقة بين البلدين، فأعلن فى عام ١٩٦٠ استقلال (السنغال) وأصبحت جمهورية، وأصبح ليوبولد سنجور أول رئيس للجمهورية، وكذلك فى نفس العام أعلن قيام جمهورية (مالى) بزعامة مود يبوكيتا، وبالمثل حصلت فى نفس العام (ساحل العاج) على استقلالها وأصبحت جمهورية مستقلة، وكذلك استقلت داهومى فى نفس العام ، وفى ١٩٧٦ غُيّر اسمها إلى جمهورية (بينين).

كما أُعلن قيام جمهورية فولتا العليا التى يغير اسمها فى عام ١٩٨٤ إلى (بوكينا فاسو)، كذلك أُعلن فى عام ١٩٦٠ استقلال دول أفريقيا الاستوائية الفرنسية فاستقلت (تشاد)، (وجمهورية أفريقيا الوسطى) التى تولى رئاستها جان بوديل بوكاسا فى ١٩٧٢ واتخذ منذ عام ١٩٧٦ لقب أمبراطور أفريقيا الوسطى.

وأصبحت **الكنغو بوازفيل** منذ ١٩٦٠ جمهورية واتخذت منذ ١٩٧٠ اسم (جمهورية الكنغو الشعبية).

---

(١) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

Mortmer, Edward: France and the Africans, A Political History (London 1961)

obeikandl.com

وكذلك جمهورية (الجابون) وقد تولى رئاستها فى ١٩٦٧ الرئيس بونجو الذى أشهر إسلامه فى عام ١٩٧٣ وغير اسمه إلى عمر بنجو.

٤ ـ وفيما يتعلق بدول شمال أفريقيا لم يمتد النظام الذى وضعته فرنسا فى عام ١٩٥٨ إلى هذه الدول فظلت فرنسا تنظر **(للجزائر)** على أنها أراضى فرنسية فيما وراء البحار، وظل الجزائريون يكافحون ومن ورائهم الدول العربية خاصة مصر ـ تمدهم بالسلاح والعتاد وتسند حقهم فى الحرية فى المحافل الدولية حتى أُطلق على الجزائر بلد المليون شهيد، وأخيراً اضطرت فرنسا لعقد **(معاهدة إيفيان)** فى مارس ١٩٦١ مع المجاهدين الجزائريين وبموجبها اعترفت باستقلال الجزائر.

لكن بعد استقلال الجزائر واجهت الجزائر مجازر إرهابية تحاول حكومة الرئيسى الجزائرى على التقرير تعليقه وضع جنرالها.

واستطاع الحبيب بورقيبة أن يفاوض الفرنسيين وأن يحصل بالتدريج بالسياسة التى رسمها على استقلال (تونس) خطوة خطوة فأعترفت فرنسا لتونس فى عام ١٩٥٥ بالحكم الذاتى، وفى ٢٠ مارس ١٩٥٦ تم الاتفاق بين الفرنسيين والتونسيين على استقلال تونس.

وفيما يتعلق بالمغرب الأقصى (مراكش) فقد لعب **الملك محمد الخامس** دوراً سياسياً هاماً فى صف الحركة الوطنية وقد زار الملك المغربى طنجة فى عام ١٩٤٧ حيث ألقى خطاباً أكد فيه التمسك بوحدة المغرب الجغرافية وبحقه فى الحرية والاستقلال ـ وقد أقدمت فرنسا فى ٢٠ أغسطس ١٩٥٢ على خلع الملك محمد الخامس من عرشه وأحلت محله محمد بن عرفة ـ لكن زاد هذا من ثورة الشعب المغربى مما اضطر فرنسا فى عام ١٩٥٦ لإعادة الملك محمد الخامس إلى بلده وسافر وفد مغربى لباريس للتفاوض مع الفرنسيين وانتهى الأمر بتصريح مشترك صدر فى ٣ مارس ١٩٥٦ اعترفت فيه فرنسا بوحدة **المغرب واستقلاله**، ووافقت الدول التى كانت تتولى إدارة منطقة طنجة على

إلغاء النظام الدولى وعلى وضع طنجة تحت سيادة المغرب على أن يمارس هذه السيادة ابتداء من أول يناير ١٩٥٧[١].

٥ ـ وفيما يتعلق بالصومال الفرنسى (**جيبوتى**) فقد ظلت فرنسا تتمسك بالنفوذ فيه وقد برزت بعد الحرب العالمية الثانية زعامات فى الصومال الفرنسى لعل من أبرزها محمود حربى الذى كان رئيساً لنقابة عمال ميناء جيبوتى وتزعم الحركة التى تنادى باستقلال الأقاليم الصومالية ووحدة الشعب الصومالى.

وفى عام ١٩٦٨ غيّرت فرنسا اسم الإقليم (عفر وعيسى) إشارة إلى القبائل التى تسكنه ولمواجهة مطالبة جمهورية الصومال بالإقليم كجزء من الصومال ـ ورغم محاولة فرنسا إيجاد حزب يؤيد ربط الإقليم بها ـ إلا أنها اضطرت فى ٢٧ يونيه ١٩٧٧ للاعتراف **باستقلال جيبوتى** ودخلت جيبوتى بعد ذلك الجامعة العربية فكانت الدولة ٢٢ من دول الجامعة.

★★★

(١) صلاح العقاد: مغرب الاستعمار الفرنسى (د. ت).

obeikandl.com

المراجـــع

أولاً: المراجع العربية:

(١) أبو العباس أحمـد خالد، الناصرى: الاستقصاء لأخـبار المغرب الأقصى ـ الجزء الثالث (١٩٥٦).

(٢) أحمد، الخطيب : الثورة الجزائرية (بيروت ١٩٥٨).

(٣) الحبيب، تامر: هذه تونس (القاهرة ١٩٤٨).

(٤) الفاضل بن عاشور: الحركة الأدبية والفكرية فى تونس (١٩٥١).

(٥) أحمد توفيق، المدنى: هذه هى الجزائر (القاهرة ١٩٥٦).

(٦) إسماعيل، سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار (١٣١٤هـ).

(٧) إسماعيـل، محمد إسماعـيل: نيجيريـة، داهومى، والكاميـرون (القاهرة ١٩٦١).

(٨) جلال ، يحيى: السياسة الفـرنسية فى الجزائر (١٨٣٠ ـ ١٨٦٠) (القاهرة ١٩٥٩).

(١٠) حسن حسنى، عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس (١٣٧٣هـ).

(١١) حسـن، صبحى: الـتنافس الـدولى الاستعـمارى الأوروبى فى المـغرب (القاهرة ١٩٦٥).

(١٢) رشدى صالـح، ملحس: سـيرة محمد عـبد الكريـم الخطابى (الـقاهرة ١٣٤٣هـ).

(١٣) روادى، كارد: الحماية الفرنسية على مراكش.

(١٤) روجيه: التعاون الفرنسى الأسبانى فى المغرب.

(١٥) روم، لاندو: أزمة المـغرب الأقصى (تـرجمة إسماعـيل على، وحـسين احمـوت) (القاهرة ١٩٦١).

obeikandl.com

(١٦) رياض، زاهر: استعمار أفريقية واستقلالها (القاهرة ١٩٦٦).

(١٧) رياض، زاهر: شمال أفريقيا فى العصر الحديث (القاهرة ١٩٦٧).

(١٨) سعد الدين، الزبير: الزبير باشا رجل السودان (القاهرة ١٩٥٢).

(١٩) شوقى، الجمل: تاريخ سودان وادى النيل ـ الجزء الثانى (القاهرة ١٩٦٩).

(٢٠) شوقى، الجمل: المغرب العربى الكبير (١٩٩٩).

(٢١) شوقى، الجمل: المغرب العربى (القاهرة ١٩٦٢).

(٢٢) صلاح، العقاد: مغرب الاستعمار الفرنسى (د. ت).

(٢٣) صلاح، العقاد: الجزائر المعاصرة القاهرة (١٩٦٣).

(٢٤) على إبراهيم، عبده: المنافسة الدولية فى أعالى النيل (١٨٨٠ ـ ١٩٠٦) (القاهرة ١٩٥٨).

(٢٥) عبد المجيد، بن خلدون: هذه مراكش (١٩٤٩).

(٢٦) عبد الملك، عودة: السياسة والحكم فى أفريقية (القاهرة ١٩٥٩).

(٢٧) عثمان، الكعاك: مراكز الثقافة فى المغرب (القاهرة ١٩٥٨).

(٢٨) علال، الفاسى: الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى (القاهرة ١٩٤٨).

(٢٩) عبد الرحمن، زكى: تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية (القاهرة ١٩٦١).

(٣٠) نقولا، زيادة: تونس فى عهد الحماية (١٨٨١ ـ ١٩٣٤).

(٣١) محمد بسيرم الخامس: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار (القاهرة ١٣٠٢هـ).

(٣٢) محمد خير، فارس: المسألة المغربية (القاهرة ١٩٦١).

obeikandl.com

(٣٣) محمد، صفى الدين: أفريقيا بين الدول الأوروبية (القاهرة ١٩٥٩).

(٣٤) محمد عبد العاطى، جلال: الاستعمار الفرنسى فى مراكش (القاهرة ١٩٥٤).

(٣٥) محمد عبد السلام، بن عبود: تاريخ المغرب الجزء الثانى (١٩٥٧).

(٣٦) محمد محمد، حسنين: الاستعمارا لفرنسى (القاهرة ١٩٦٠).

(٣٧) محمد مصطفى، صفوت: الاحتلال الإنجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى إزاءه (١٩٥٢).

(٣٨) هنرى، كلود ـ بريتان، أندريه ـ لاكوست ، إيف: الاستعمار الفرنسى فى المغرب العربى (ترجمة محمد عنانى) (بيروت د. ت).

ثانياً: المراجع الأجنبية:

(1) Abbas, Ferhat: Le Jeune Algérien (1931).

(2) André, Julien Charles: Historie de L'Afrique du Nord (Paris 1952).

(3) Barlett, Vernon: Struggle for Africa (London 1953).

(4) Berard, V. : Affaire du Maroc. (Paris 1906).

(5) Bercque, Jacques: Le Maghreb entre deux guerres (Paris 1962).

(6) Bernard, Augustin: L'Algerie (Paris 1930).

(7) Bernard Angustin: Le Maroc (Paris 1931).

(8) Bourassen, R. : La Question du Maroc (Paris 1904).

(9) Cambon, Henri: Histoire du Maroc (Paris 1952).

(10) Catroux, G. : Lyautey Le Marocain (Paris 1952).

(11) Dekat, Angelino A. D. A. : Colonial Policy (2 Vols). (Netherlands 1931).

(12) Delairgnette, R. : Freedom & Authority in French West AFrica (London 1950).

obeikandl.com

(13) Deschamps, Hubert: Le sénégal et la Gambie (Paris 1904).

(14) Deschamps, Hubert: Methodes et Doctrines Coloniates Francaises.

(15) Documents Diplomatiques Francais 2 eme Serie Tome IV.

(16) Esuqer, G. : Histoire de l'Algerie (1950).

(17) Garanier, Christion: Le Sénégal porte de l'Afrique (Paris 1962).

(18) Guernier, R. : L'Afrique Occidentale Francaise (Paris 19049).

(20) Hamberg, Octave: Le France des Cinq Partiesdu Monde (Paris 1937).

(21) Hanotaux, P. : Histoire de la France Contemporaine (Paris 1931).

(22) Hanotaux, Gabriel: Historie des Colonies Francaise (Paris 1930).

(23) Hardi: Histoire des Colonies Francaise et L'Expansion de la France (Paris 1941).

(24) Hargreaves, John D. : Prelude To The Partition of West Africa . (London 1963).

(25) Henrique , Louis: Les colonies Francnises (Paris 1889).

(26) Hoskins: European Imperialiasm in Africa (1928).

(27) Johnston, Harry: A History of The Colonization of Africa (Cambridge 1913).

(28) Keltie, Sir John Scott: The Partition of Africa (London).

(29) Lucas, Sir Charles P. : The Partition & Colonisation of Africa (Oxford 1992).

(30) Maurois A. : Lyautey (Paris 1935).

(31) Morrimer , Edward: France & the Africans (1944 - 1960) (London 1964).

obeikandl.com

(32) Massey, W. T. : The Desert Campaign (London 1918).

(33) Raymond, André: Salisbury & Tunisian Question.

(34) Rezette, R. : Les Parties Politiques Morocaines (Paris 1955).

(35) Roberts, S. H. History of French Colonial Plicy (Vol . 1 - London 1929).

(36) Safwat, M. : Tunis & The Powers (1878 - 1881) (1943).

(37) Stengers, Jean: L' Impertialisme Colonial de la fin du XIXE siecle (Journal of African History II, 3 - 1962).

(38) Thompson, Virginia & Adoff, Richard: French West Africa (London 1958).

★★★

obeikandl.com